



جلس الرئيس الأميركي باراك أوباما على مقعده في القطار الذي يتهيأ لمفاجأة محطة الشرق الأوسط خلال لحظات، وهو ينظر عبر زجاج النافذة إلى الرصيف حيث بدأ مودعوه في تناش الحقائب التي لم يستطع أن يحملها معه، من دون أن ينتظروا انطلاق قطاره حتى. وعلى رغم أنه يهز رأسه أسفًا ويحرك يديه مستنكرة، إلا أن هؤلاء يعرفون أن أبواب القطار أقفلت ولم يعد ممكناً نزوله منه، ولا بد من انتزاع حصصهم من الترکة.

وبين الواقفين المتلهفين على رصيف المحطة أقوياء مثل بوتين وخامنئي اللذين يتلطفى خلفهما بشار الأسد وحيدر العبادي، وأخرون أقل قوة مثل البغدادي والجلواني، يليهم أردوغان وبعض العرب والأوروبيين ومقتنصي الفرص، ومتفرجون شامتون يتقدمهم نتانياهو. تلك هي الصورة التي توحى بها التطورات في سورية، حيث يلملم الأميركيون خططهم واقتراباتهم ومواقفهم وينسحبون من الساحة، فيما يباشر الروس تحركاً منسقاً مع الإيرانيين يقوم على انخراط عسكري واسع هدفه منع نظام حليفهم الأسد من الانهيار ومدّه بعوامل الصمود في جمهوريته المصغرة، وفرضه طرفاً معترفاً به في ما يسمونه "الحرب على الإرهاب".

لكن بوتين لم يكن ليقدم على خطوته التصعيدية لو لم يوفر له الأميركيون بأنفسهم الذريعة التي يحسن استغلالها لمصلحته، عندما أصرّوا على أولوية المعركة ضد "داعش" وركزوا جهدهم الحربي، أو ما تبقى منه، في شن غارات على التنظيم تبين عدم نجاعتها، وركزوا جهدهم الدبلوماسي على إقناع حلفائهم وأصدقائهم بصواب خياراتهم.

وأيضاً لأنه يعرف أن واشنطن ستكتفي بالإدانات والاستنكارات الشفوية ولن تفعل شيئاً لوقفه، تماماً مثلما خبر موقفها في أوكرانيا من قبل.

وكرر الرئيس الروسي ووزير خارجيته المترور دوماً سيرغي لافروف في الآونة الأخيرة التصريحات عن مخاوف موسكو من عودة "الإسلاميين الروس" من سورية والخطر الذي يشكلونه على أنها القومي، وعن قلقها الشديد من تنامي قوة "داعش" وتمدده إلى أفغانستان التي يخليها الأميركيون والأطلسيون نهاية السنة.

وتقصدت الردود الروسية على تحذيرات واشنطن من عواقب التورط العسكري، التذكير بـ"المقلب الليبي" عندما اعتبرت

موسكو أن الأميركيين خدعوها في مجلس الأمن وأبعدوها على الأرض.

وكان بوتين يقول إن ما يحصل في سوريا هو "رد رجلٍ لأوباما، لكن الفارق هنا أن الأميركيين هم الذين قرروا الرحيل من تلقاءهم.

وكان أوباما، وفي إقرار غير مباشر بأن الأزمة السورية ستطول وأن لاأمل في عودة قريبة للنازحين السوريين إلى ديارهم، طلب من الكونغرس قبل أيام الموافقة على استقبال عشرة آلاف لاجئ سوري خلال السنة المقبلة، أي ما تبقى من ولايته الثانية.

وهي الفكرة التي تبنتها الخارجية الأميركيّة في انتقادها الروس على انتشارهم العسكري في شرق سوريا، إذ قالت إنه سيطيل أمد الأزمة ويعقد حلولها، ملقية اللوم على موسكو وحدها ومتصلة من مسؤوليتها في إطالة النزاع نتيجة ترددتها العملي في الموقف من مصير الأسد ونظامه، واستمرار رفضها تسليح المعارضة.

يتعجل الرئيس الأميركي إنتهاء دور بلاده كقوة عسكرية في المنطقة، مع حرصه على بقائها يائعاً للتكنولوجيا والمشاريع، تاركاً شعوبها تواجه مصائرها وحدها في مواجهة الطغاة والملالي والمتطرفين، بعدها ساعد على توريطها بأحلام التغيير.

الحياة اللندنية

المصادر: